العنوان:	القتل السياسي
المصدر:	مجلة علم النفس
الناشر:	جماعة علم النفس التكاملى
المؤلف الرئيسي:	الراوي، محمود
المجلد/العدد:	مج 3, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1947
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	207 - 214
رقم MD:	523868
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الجريمة و المجرمون ، سمات الشخصية ، التحليل النفسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/523868

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القتل السياسى

بقــلم
محمود الراوى

رأينا فى البحث الماضى[1] أن الاختلالات العصبية الوظيفية هى كما أثبت يونج نتيجة نضال حالى فى اللاشعور ، وليس نتيجة عقدة أو اضطراب أوكبت منذ عهد الطفولة كما يقول فرويد ، وإن كان لا يعدم أن يجد الإنسان فى أيام الطفولة وتجاربها العديدة ألواناً من الوقائع والحوادث التى تتماثل مع الجدول التحليلى الذى يستعمله فرويد وأتباع فرويد ، فيعزون إلى هذه الوقائع المشابهة السبب الأساسى فى الاضطراب ويسيرون فى التحليل على هذا الاعتبار .

أما بحثنا الآن فينحصر فى مدى انطباق هذه المعلومات السابقة على الجرائم السياسية ، وصحة التفسير بعقدة أوديب أو بطلانه .

والتفسير الذى ينقله إلينا أستاذنا الكبير محمد فتحى بك لم يكن كل شىء فى « جدول » فرويد وأتباعه وهو تفسير سهل جداً وأكثر بساطة مما يجب لأجل البحث التحليلى النفسى : فهذا طفل له علاقة معينة بوالده ووالدته ، فاذا قتل رجلا آخر يكون قد تعرف فيه على والده وغريمه ، وإذا قتل نفسه يكون قد تعرف فى نفسه على والده !! أما الأم فمن السهل أن نجد امرأة أو رمزاً أو شيئاً يمثل دورها ، فتارة تكون هى الصديقة أو الخطيبة أو الحليلة ، وتارة تكون هى الحزب الذى يعتنق القاتل مبادئه ، وأخرى تكون هى الدولة أو الحكومة أو القطر الذى يعيش فيه . . .

وهذه التفسيرات بالذات من أهم نقط الضعف جدول فرويد التحليلى .

وكما بينت سابقاً (فى المقال الماضى) يمكن بمركب أوديب وأمثاله من التعليمات النظرية تفسير أى شىء فى علم النفس ، وفى التحليل النفسانى ، وفى أنواع الشذوذ النفسانى سواء كانت عضوية أو نفسية أو نفسية عضوية ! والواقع أن فرويد وأتباعه

(١) المنشور فى عدد يونيو ١٩٤٧ من مجلة علم النفس ص ٩٧ — ١٠٦

من الباحثين المعروفين قد راحوا يفسرون بمثل هذه التعميمات كل شيء فى علم النفس ، وكلما صادفهم شيء لا يتفق مع الجدول المذكور أخذوا يقصون أجزاءه ويزيلون منه أو يضيفون إليه حتى يدخل تماماً فى هذا الجدول . فالثورات الأهلية ، والعداءات الحزبية ، والاختلافات الشخصية بين الأفراد ، وحتى الاشتراكية والشيوعية قد فسرت كلها بأنها ثورة ضد الأب .

فكولناى مثلا[١] يفرض أن الشيوعية البسيطة هى تراجع جزئى إلى جهة الأم مع إيقاف عمل الأب أو مصدر السلطة ، ويفترض أيضاً أن الشيوعية اللاملكية تزيد ذلك فى عملية التراجع ومواجهة مصدر السلطة بإلغاء القوانين دون إصدار قوانين جديدة (كذا !) وإزالة الأب تماماً مع التضامن كأخوة يتحدون كلهم مع الأم اتحاداً تاماً .

وإذا سايرنا مونى كيرل فى تصويره للقبيلة البدائية والأب البدائى ، نراه يعتقد أن القبائل الأولى كانت عبارة عن رجل واحد تحوطه عدة نساء ، وأن القبائل التى تلت ذلك كانت عبارة عن مجموعة من الذكور مختلطين بالنساء ، ولكن واحداً منهم فقط (أكبرهم سناً) هو الذى كان يقوم بدوره كذكر ، أما الآخرون فكان يحرم عليهم الاتصال بنساء القبيلة . ومن هذا الكبت الجنسى نشأت الرغبة فى النضال ، وهى ولو أنها فى الغالب كانت توجه نحو العالم الخارجى إلا أنها أحياناً كانت تتجه إلى داخل القبيلة نحو الرئيس المسئول عن فرض قيود عليهم لا يتقيد هو نفسه بها . وليس من العجيب بعد ذلك أن نرى أن تاريخ البشرية بكل ما فيه من صور الحروب والمعارك صغيرة وكبيرة ، إنما هو مشتق من تلك الصورة البدائية كالحقد على الأب أو الرئيس فى مصر القديمة وكان يتخذ شكل الحفلات التى يمثلون فيها موت فرعون ثم ولادته (وقد سميت بعد ذلك « بإعادة فرعون إلى الشباب ») وفى الثورة على رجال الدين فى آشور (وكانوا يمثلون السلطة) وفى شعور مماثل لهذا ضد أباطرة الرومان ، وضد ملوك أوربا الذين كانوا يحكمون بما أسموه « الحق الإلهى » . وفى العصور الحديثة يتمثل هذا الحقد فى صورة مناهضة الزعماء والحكام وفى صورة الحركات المضادة للرأسمالية ، على اعتبار أن كلا منها يمثل السلطة والامتيازات التى يحرم منها الآخرون والتى تعانى كبتاً دائماً[٢] .

(١) Kolnai: The War Against the West, 1938

(٢) Money-Kyrle: The Development of the sexual Impulses, 1932

وقد تكون الصورة التى يسوقها مونى كيرل قريبة من الواقع ، ولكن لا يجب أن نرى فيها مثلا جديداً لمركب أوديب والغيرة على الأم من الأب . ونظرة إلى الجمل التى وضعت تحتها خطاً ترينا أن هذا التفسير لا يمكن أن يفلح هنا ، فكلا من هذه الجمل تعنى شيئاً واضحاً كل الوضوح ، هو الثورة لهضم الحقوق والكبت الذى تعانيه الذات ، أى أن الحقد الذى يبدو نحو « الأب » ليس لأنه انفرد بالأم وإنما لأنه انفرد بامتيازات سلبها من الآخرين ، سواء كانت هذه الامتيازات فى الناحية الجنسية أو الاجتماعية أو غيرها . وهنا يجب أن نستعين بما يسميه أدلر « احتجاج الذكر » أى ثورة الإنسان فى سبيل استعادة حقوق نفسه . « واحتجاج الذكر » وإن كان من التعميمات النظرية التى وضعها أدلر إلا أننا إذا طبقناه مع التحفظ نجد له فى كل يوم أمثلة لا تعد(١) .

إن الشاب إذا شعر بأن رجلا آخر قد شلبه الفتاة التى يحبها يشعر أول ما يشعر بالثورة لنفسه ضد هذا الحرمان ، وليس الدافع الجنسى هو الذى يدفعه إلى الانتقام وإنما شعور الحرمان . ولكن أتباع فرويد قد يصرون على أن الدافع الجنسى هو المسئول فى هذه الحالة ، سواء كان دافعاً مباشراً أو غير مباشر . فلنأخذ إذن مثالا آخر : هل يستطيع أحد من القراء أن ينكر أن الطفل الذى يجد أن أخاه انفرد دونه بقطعة من الشوكولاتة قد تتملكه الرغبة فى الانتقام من أخيه وضربه ؟ كلنا قد لاحظنا أشياء من هذا النوع ، ولم نفكر مطلقاً فى وجود دافع جنسى عند الطفل . أما فرويد فلكى يطوى هذا الدافع الذاتى (احتجاج الذكر) داخل جدوله قد يقول : بل إن هناك دافعاً جنسياً — هو الشهوانية الفمية ! بل لقد قرأت فى مجلة المجمع الطبى البريطانى فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ أحد الأتباع يحاول أن يثبت أن عادة التدخين عند الذكور والإناث لا تخرج عن إنها شهوانية فمية ! !

ولندع هذا المثال جانباً لنعود إلى التصوير الذى ساقه مونى كيرل ، بعد أن فهمنا أن الدافع الأول فيه هو احتجاج الذكر وليس الغيرة الجنسية ضد الأب . فحرمان المجموع التابع للرئيس من امتيازات الرئيس (أو الأب) كان يظهر فى تعدد أشكال هذه الامتيازات ذاتها . فعلاوة على سلطة الحكم والأمر والنهى كان آلهة الإغريق يتمتعون بتقديم الفتيات العذارى إليهم بينما يحرم من التمتع بهن أى فرد من أفراد

(١) راجع كتاب اسحق رمزى : علم النفس الفردى ، ص ٩٤ — ١٠١ ، منشورات جماعة علم النفس التكاملى . الناشر : دار المعارف ، ١٩٤٦ .

المجموع . . وكان الفراعنة يسمح لهم بارتكاب الفحشاء مع الأقارب بينما لم يسمح بهذا لأفراد الشعب . . . وسمح لملوك أوربا المسيحية بتعدد الزوجات مع أنه إجرام فى تعاليم المسيح .

ولكن هذه الأشياء التى كانت تقابل بالإجلال والعبادة قديماً قد تطورت مع الزمن ، مثلما تطورت الآلهة إلى حكام مؤلهين ، ثم إلى ملوك يحكمون بالحق السماوى ثم إلى ملوك وحكام مطلقين ، ثم إلى عوامل اقتصادية ومادية كالدكتاتورية والرأسمالية . ومع هذا التطور من رئيس القبيلة البدائى إلى العصر الحاضر تطورت الرهبة والعبادة إلى احترام ثم أخذ هذا الاحترام فى التناقص ليحل محله « احتجاج الذكر » وشعور الجماعات بسلبها الامتيازات التى حرمت منها ، وهكذا نرى روح الحقد والتمرد قد تدرجت من الدائرة الجنسية (فى حفلات العذارى . . . إلخ) إلى المعنى الدينى (الحفلات الدينية كما كان عند الفراعنة) إلى المجال السياسى والاقتصادى ، وهو الشكل الحالى لذلك الصراع المستمر فى سبيل الحياة والقوة .

فالوضع الحالى للصراع الحزبى والصراع بين الأمم إذن هو الرغبة فى السيطرة ، كل يريد أن يحطم الآخر ليتخذ من أجداثه سلماً لأغراضه الذاتية . وسنترك الموضوع عند هذا الحد لنعود إليه بعد قليل .

* * *

هذا عن مبدأ النضال السياسى والاقتصادى بين الجماعات « المتكتلة » . أما القتل السياسى وعلم النفس السياسى عموماً فإنه يختلف تماماً عن التحليل النفسى الفردى . ولا بد أن أستاذنا الكبير يوافق على أن سيكولوجية الشعوب والأحزاب والدوافع إلى الانقلابات الشعبية إلخ . . . إنما هى سيكولوجية المشاعر والعواطف وليست سيكولوجية العقل الباطن أو الكبت فى اللاشعور .

ومؤدى ذلك هو أن تفكير الشخص وما قد ينشأ فى داخليته من نضال أو اضطراب ، لا علاقة له بما يقوم به ذلك الشخص من أعمال إذا كان منضماً إلى أفراد آخرين فى شكل جماعة أو « جمهور » ، ولنبدأ بتصوير نفسية الجماهير بالمثال التالى:

قف فى وسط أحد الشوارع الهامة واصرخ بملء صوتك : حريق — حريق ! تجد أن جمعاً غفيراً من الناس يلتف حولك فى غمضة عين ، فإذا عدوت فى اتجاه ما رأيتهم يعدون خلفك حتى دون أن يسألوك لماذا اتخذت هذا الاتجاه ، فإذا غيرت اتجاهك فجأة تجد أغلبهم يغير اتجاهه أيضاً بدون تفكير .

وهذا معناه شيء واحد ، هو أن « الجمهور » تحت تأثير الموقف الذى خلقته أنت ، لم يعد يفكر أو يستنتج وإنما اكتفى بمشاعره وإحساساته فقط ، وتحت تأثير هذه الحالة النفسية المشتركة أيضاً يمكنك أن تسير به أينما تشاء أو توحى إليه بأية فكرة تشاء .

وسيطرة العواطف والإحساسات على الجماهير لا علاقة له بذكاء أفراد تلك الجماهير أو بلاهتهم ، فالذكى والأبله فى ذلك سواء ، وقد تكفى كلمة واحدة لكى تقيم أمة بأسرها وتقعدها — على شرط أن تتأثر هذه الأمة بعاطفة تتفق واتجاه تفكير أو مشاعر أغلب أفرادها . وكلنا نذكر كيف بدأت الثورة الفرنسية على لسان طفلة صغيرة كانت تصيح « نريد الخبز ، نريد الخبز » وكيف أن هذه الكلمة أثارت نسوة باريس وجعلتهن يقمن بأول مظاهرات الثورة أمام قصر الملك لويس السادس عشر ، ثم استجابت فرنسا كلها بعد ذلك .

ويفسر يونج تلك الظاهرة بأن تفكير الجماعات يكون أقرب إلى اللاشعور المشترك من تفكير الفرد ، بما فى هذا اللاشعور الموروث (المشترك) من عوامل الغدر والحقد التى تقلبت فيه منذ بدء الخليقة(١) .

وعلى ذلك فان تفكير الجماعة يكون متجرداً من القدرة على الحكم والموازنة ، ولكنه قد يقود الجماعة فى طريق تعتقد أنه الصواب طبقاً لتعاليمها وعاداتها من قبل .

ولكن هذا التفسير لا يهمنا هنا إلا بالقدر الذى يمكننا من أن نعرف أن الجماعات تعمل وتثور وتهدأ بدافع من عواطفها ومشاعرها فقط ، مما يسمونه غريزة القطيع . وفى هذه الحالة تكون الجماعة على تمام الأهبة لتقبل أى نوع من الإيحاء ، سواء كان صحيحاً أو خاطئاً . والزعيم هو الشخص الذى يستطيع الإفادة من تلك اللحظات الخاطفة فى حياة الشعوب .

ويقول مكدوجل إن هذه العوامل الداخلية فى الجماهير هى الغرائز التى تعمل ، والتى تنتقل مظاهرها من فرد إلى آخر بطريق « العدوى » العاطفية والنظر واللمس(٢) .

---

(١) إن يونج في وصفه للاشعور المشترك لا يقتصر على عوامل الحقد والغدر ولكنه يقول أيضاً بأن « اللاشعور المشترك هو عامل مهم من عوامل التهذيب المثالى والروحي ، يختلف تأثيره في الفرد إلى قيادة الخطأ أو الصواب تبعا للوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه والعادات التي تمارسها عشيرته »

(٢) McDou gall: The Group Mind, 1920

وهذه الغرائز تزيد من قابلية أفراد « الجمهور » للإيحاء . فالشخص الخائف يستجيب لك بسرعة إذا أوحيت إليه بدنو الخطر ، والشخص الغضوب يصدقك حالا إذا قلت له إن شخصاً أهانه ، والشخص الغيور قد تقوده بضع كلمات كاذبة إلى الجريمة عن طريق إشعال نيران غيرته ، وهكذا .

والزعيم إذا كان عديم الخوف واثقاً بنفسه تمام الوثوق يمكنه أن يحول حشداً من الناس إلى حزب أو إلى جيش قوى ، أو إلى أمة ، أو حتى إلى جنس بشرى مستقل فى أفكاره كما أراد أن يفعل هتلر . وعن طريق استخدام هذه العواطف المشتركة حدثت كل الانقلابات القومية فى التاريخ . فالثورة الشيوعية فى روسيا قامت حينما كان الجميع يشعرون بالظلم تحت سيطرة القياصرة ، وثورة التحرير فى أمريكا قامت حينما شعر الزنوج أنهم كانوا يعاملون معاملة الحيوانات ، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ حينما شعر كل مصرى بأن الإنجليز أعداؤه . وفى كل من هذه الحالات لم يبدأ الانقلاب إلا حينما أصبح الشعور مشتركاً بين أفراد « الجمهور » ، تحت تأثير الإيحاء الذى يغذيه الزعيم أو الزعماء .

ويقول الدكتور براون: « ... وليس هناك تحقير أو ضعة فى أن يتبع الشعب زعيمه ما دام الشعب يريد الوصول إلى غاية خاصة . فهو يتبع الزعيم لأنه يحترمه ويثق فيه ويرغب فى أن ينال عن طريقه ما يريده من الغايات ، ليس لأنه يخاف منه . والتابعون يظهرون لقائدهم ماذا يريدون قائدهم أن يكون ، وعليه هو أن يعمل بإرادتهم ، وإلا نبذوه أو انتقموا منه . . . إن الزعيم الحقيقى يريد من حوله أشخاصاً يثقون بأنفسهم مثله ، فهو يقودهم ، ليس عن طريق التخويف أو الضغط وإنما بشعور من الثقة فيه وفى مبادئه . وإنى أقصد طبعاً تلك الجماعات التى تنظم للقيام بأعمال ذات خطورة ، فالخراف عديمة الخطر . »(١)

وإن زلة واحدة أو غلطة صغيرة تحدث من الزعيم بعد أن يفوز بالثقة قد تكفى لسقوطه إلى الأبد ، وتحوله من مرتبة المثل الأعلا إلى خصم معاند أو عدو يجب القضاء عليه . وهذا هو ما حدث لأدولف هتلر . فقد كان فى أول الحرب معبود الألمان وكان فى مصاف الآلهة ، فلما خسر أول معاركه فى الروسيا هوى من عرشه فى أعين شعبه — إلى غير عودة .

(١) Brown (W.): War and the Psychological Conditions of Peace, 1942

فإذا أردنا بعد ذلك أن ندرس القتل السياسى والدافع إليه يجب علينا أن نفحص العوامل الآتية :

١ — العوامل التى تقود إلى الاضطرابات الشعبية بين دولة وأخرى .

٢ — المعانى النفسية للحرب والسلم عند الأفراد .

٣ — الزعيم المحبب والزعيم المغضوب عليه والزعيم المقتول من وجهة الصلاحية للزعامـــة .

٤ — الشعور المشترك الموجود فى الجماهير التابعة للزعيم أو المنشقة عليه .

٥ — عوامل التنافس الفردى والتنافس الحزبى .

٦ — العوامل الشخصية المحضة والأحوال الإجرامية المحضة الداعية إلى القتل إلخ .

والموضوع كما نرى واسع شديد الاتساع ، ولذلك سأحصر البحث فى إحدى النواحى فقط وهى الناحية التى تكلم فيها الأستاذ محمد فتحى بك باسم القتل السياسى ، وهى حالة قتل زعيم أو سياسى بواسطة فرد من الجماعة .

فبناء على ما تقدم يجدر بنا أن نفرق بين نوعين من القتل .

الأول — القتل المدبر بعد تفكير وروية لخدمة غرض اجتماعى يظنه القاتل ضروريا لحماية الجماعة من خطر ما أو من نفوذ حزب أو زعيم مضاد — سواء كان ذلك الظن خاطئاً أو غير خاطئ .

الثانى — القتل المندفع دون روية تحت تأثير غريزة القطيع ، وهذا فى العادة يقوم به أشخاص قليلو الذكاء يكونون ألعوبة فى يد الأكثر ذكاء .

وفى كلا الحالين يمكن أن تؤدى غريزة القطيع دوراً هاماً من الصعب أن نهمله إذا أردنا تحرى حقيقة هذه الدوافع الإجرامية السياسية ، خصوصاً وأن بعض الهيئات أو الحكومات تسلط على جماهيرها إيحاء شديداً من الدعاية السياسية أو العنصرية أو الحزبية لتوجيه الرأى العام بالطريقة التى تشاء . فالإيحاء الذى توجهه الحكومة البريطانية حالياً إلى الجماهير يستمر أربعاً وعشرين ساعة كل يوم . وهو قد أصبح أهم إيحاء فى العالم بعد اندحار ألمانيا النازية .

وفيما عدا النوعين السابقين يجب علينا ألا ننسى القتل الناتج عن تفاعل مرض نفسانى عند القاتل ، كالإصابة بالبارانويا ذات التوهمات الاضطهادية .

وفى الواقع إن عدداً كبيراً من جرائم قتل الزعماء قد قيم به إما تحت تأثير إصابة بالبارانويا أو تحت تأثير حالة شبيهة بالبارانويا ، حيث يتحول الحب السابق أو توهم

الحب إلى إحساس عميق بالكره أو الرغبة فى القسوة والقتل ، بفعل الاعتقاد بالاضطهاد والظلم . ومن منا لا يذكر كيف تحول الإنجليزى والألمانى من صديقين قبل الحرب إلى عدوين يرغب كل منهما فى قتل الآخر ، وكيف تم هذا التحول فى غمضة عين تحت تأثير دعاية الزعماء حينما تعارضت أطماع كل فريق منهما مع أطماع الآخر ؟ وفى هذا يقول فرويد : « إن المشاهدات تثبت قطعاً أن الشخص المتسبب فى الاضطهاد (عند المصاب بالبارانويا) كان شخصاً يحبه المريض من قبل ذلك » Freud; Collected Papers, Vol. III. .

وإذا أردنا أن نبحث عن الباعث على جريمة من هذا النوع فى التاريخ – القديم أو الحديث – علينا أولا أن نسأل أنفسنا : هل كان القاتل من أتباع القتيل السابقين ؟ وهل ظل القتيل متمسكاً بمبادئه حتى الموت ؟ هل كان القاتل ألعوبة فى يد أشخاص تتعارض مصالحهم مع مصالح الزعيم القتيل ؟ وهكذا .

ترى هل ينطبق التفسير بمركب أوديب على قتل الحلفاء لزعماء ألمانيا السابقين ؟ لقد شاهدت صورهم فى إحدى المجلات الأمريكية وتساءلت : « لو كانت ألمانيا قد كسبت الحرب ، أما كان تشرشل ومونتجومرى ومارشال وغيرهم ينتظرهم نفس المصير إنهم الآن يتقلدون أوسمة الفخار ، لأن ألمانيا النازية قد ماتت » .

إن هذه كلها مسائل نسبية كما نرى . ويا حبذا لو سمح القانون بتحليل نفسية المجرمين السياسيين وهم فى السجون ، إذن لاستطعنا أن نتغلغل فى نفوس هؤلاء التعساء ونضيف إلى العلوم النفسية ثروة لا تقدر بمال .

محمود الراوى

Résumé

LE MEURTRE POLITIQUE

Mahmoud Ar-Rawi

L'auteur s'élève contre l'interprétation exclusive de l'acte criminel par le complexe d'Œdipe. Dans un article précédent, il avait rappelé les critiques adressées à une pareille interprétation. Il montre ici que tout meurtre politique ne peut être ramené à un conflit œdipéin. Les conditions qui dans la horde primitive auraient poussé les fils à tuer le père ont certainement évolué : du plan sexuel au plan religieux, puis politique, enfin économique.

Les véritables mobiles du crime sont à chercher plutôt dans un conflit actuel et non uniquement d'origine infantile et il faut tenir compte aussi du désir d'ascendance et de domination. De plus il faut envisager plusieurs facteurs solidaires : conception individuelle de la paix et de la guerre, attitude vis-à-vis du *leader*, compétitions individuelles et partisanes.